الباب الرابع

سياسة العصا الغليظة!!

هل سمعت بالصلاة الحربية ؟!

إذا لم تكن سمعت بها ولم تقرأ عنها ، فتعال لنستمع إليها من الكاتب الأمريكي الساخر (مارك توين) :

(. . . يا إلٰهي! إن شبابنا المحب للوطن وفلذات أكبادنا ذاهبون إلىٰ الحرب فكن معهم ، إننا جمعياً معهم بأفكارنا . . . ذاهبون أيضاً لدحر الأعداء .

يا إلٰهي! ساعدنا علىٰ أن نقطّع جنودهم إرباً ، ساعدنا علىٰ بذر حقولهم الزاهرة بجثث وطنييهم ، ساعدنا علىٰ أن نسوّي منازلهم المتواضعة بالأرض بعاصفة من النيران ، ساعدنا علىٰ نمزّق قلوب أراملهم البريئات بالحزن المستمر ، ساعدنا علىٰ أن نحرم أصدقاءهم المأوىٰ حتىٰ يهيموا مع أطفالهم الصغار في السهول القاحلة لبلادهم المهجورة في ملابسهم الرثة البالية يتعذّبون من الجوع والعطش والشمس الحارقة صيفاً ، وأن ترتعد أوصالهم برداً من الرياح الشديدة البرودة شتاءً ، حتىٰ يتضرّعوا إليك يأساً في نهاية الأمر ، لكي تفتح أمامهم أبواب القبور لكي ينعموا بالهدوء!!) .[1] .

---

(١) للتوسع يراجع كتاب : غطرسة القوة ، يفجي لوجوفوي : ٢٥ـ٣٧ .

لكن هل هذه مجرد نكتة أطلقها كاتب ساخر ؟!

أبداً ، إنما هي تعبير صادق عن الغطرسة ـ غطرسة القوة ـ الأمريكية ، وبالتالي فهم يبرّرون ذلك بأن الخالق قد كلفهم بهذه المهمة التي عجز عن تحملها أمم الأرض قاطبة!

وقد جاء ذلك بشكل صريح وواضح على لسان السيناتور (هوبيفيريج) :

(. . . ولقد جعلنا الرب قادة ومنظمين للعالم ، وكلفنا ببعث الاستقرار والنظام في مملكة الفوضى . . . ، ولقد اختصّ الربّ الشعب الأمريكي كأمة مختارة ، كتب عليها أن تترأس عملية بعث العالم ، هذه هي رسالة أمريكا المقدسة!!) .

وجاء على لسان الطبيب والاجتماعي الشهير (بنيامين سبوك) قوله :

(. . . بعض حقائق تاريخنا والخصائص القومية الطابع تعطي تفسيراً في نظري لماذا أخذنا على عاتقنا دور رجل الشرطة العالمي بهذه السهولة .

لقد استقطنت في بلادنا موجات متتالية من أناسٍ على درجة كافية من الصلابة والجسارة ، لكي يقطعوا كل صلة بالماضي والطموح لملاقاة كل تقلبات القدر ، وقمنا بسلب وخيانة وقتل الهنود ، وكنا نستقبل المهاجرين الجدد بسوء المعاملة ، ودأبنا باستمرار على إهانة وتحقير الزنوج ، وكنا نقتلهم في النادر بعد محاكمة عرفية ، وكنا في الغالب نقتلهم ونطلق النيران على كنائسهم ، وكان المرء يعتمد على مسدساته وحدها ، أما المحاكم فقد كانت عرفية صورية ، وما زالت هذه الأعمال المنافية للقانون تثير الإعجاب في نفوسنا حتى الآن!!

. . . ولقد كنا دائماً شعباً فظاً ، وتغذّت نزعتنا العدوانية على

النجاحات التي أحرزتها أعمالنا العدوانية ، وقد جلب القرن العشرين معه العدول عن الخجل والإصرار علىٰ عدم إخفاء غرائزنا السفلىٰ .

وتنشر الصحف رسائل القرّاء ، تتضمن نداءات : ينبغي علينا أن نلّقن الشيوعيين درساً جيداً في آسيا ، ويجب علينا أن نضع حدّاً للفوضىٰ في كوبا . . . وكأنهم يضعون في الحساب رغباتنا وحدها ، كما لو كان لدينا حق وإمكانية فرضها بالقوة ، فقد أعلن أعضاء الكونجرس مراراً أنه ينبغي علينا لإنهاء الحرب علىٰ أسرع نحو ممكن في فيتنام ، إما أن نهجم ، وإما أن نستخدم الأسلحة النووية ، مظهرين بذلك عدم المبالاة تماماً بأننا نحكم علىٰ الملايين من الناس الذين لم يلحقوا بنا أيّ ضرر بالموت ونعرّضهم للإرهاب .

إن توصيات الجنرال (كيرتيس ليماي) بإلقاء القنابل علىٰ فيتنام إلىٰ أن نعود بها إلىٰ العصر الحجري ، ترغمنا علىٰ تذكرّ تعصّب ووحشية وقسوة أذناب الهتلرية ، وينبغي علينا أن نعترف بالحقيقة المرّة . بأننا أمة نصف متحضرة في كثيرٍ من النواحي ، وهذا خطر كبير بالنسبة لدولة تدّعي لنفسها حقّ تسيّد العالم) .

إذن :

نحن أمام أمّة متعطشة للدماء ، ولسلب ما أمكنها من موارد الآخرين ، حتىٰ لو كان الثمن قتل أو تشريد أو دمار نووي شامل!

وما أكثر الأدلة الدامغة علىٰ ذلك ، حتىٰ علىٰ ألسنة المثقفين عندهم .

مثال ذلك ما صّرح به (بنيامين سبوك) وهو يتحدّث عن المغامرة الأمريكية في فيتنام :

(. . . وإن فيتنام ليست غلطة عفوية في السياسة الخارجية الأمريكية ، وإذا كان الأمريكيون راغبين في تحاشي تكرار مثل هذه

الأخطاء فيجب عليهم معرفة أن الدافع إلىٰ إشعال الحرب في فيتنام كان هو طموح الولايات المتحدة إلىٰ السيطرة علىٰ العالم ، ففي عام ١٩٥٣م عندما كنا ندفع (٨٠٪) من النفقات علىٰ إعالة الجيش الفرنسي في الهند الصينية ، أي قبل عام من الهزيمة النهائية للفرنسيين الذين حللنا محلهم ، قال الرئيس (إيزنهاور) :

(. . . فلنفرض أننا فقدنا الهند الصينية ، سيتوقف وصول القصدير والولفرام اللذين يمثلان قيمة هائلة بالنسبة لنا ، ولذا فعندما تصوّت الولايات المتحدة لصالح منح فرنسا (٤٠٠) مليون دولار لخوض هذه الحرب ، فإننا نصوّت لصالح جبروتنا وإمكانية الحصول علىٰ كل ما بالإمكان من ثروات الهند الصينية وجنوب شرق آسيا) .

فأي قيم تحملها أمريكا ؟ وأي مُثل عليا سامية تدّعي أنها مفخرة لها ؟ وما هو ذنب الفيتناميين الآمنين عندما قصفتهم أمريكا (بالنابالم) ؟ وما هو الجرم الذي قام به أطفال العراق الشقيق عندما حاصرتهم أمريكا . . . ففقدوا الطعام والدواء . . وأصيبوا بالأمراض الفتاكة . . . ؟ وما هو الذنب الذي اقترفته ليبيا وإيران وسورية ولبنان . . . حتىٰ يحاصرون مرة تلو مرة ؟!

إن المسألة لا تعدو عن البربرية والهمجية التي تقوم بها زعيمة العالم اليوم ، وكل ذلك تحت أسماع ومشاهدات المنظمات الدولية و . . . !!

والمهم هو أن تظهر أمريكا بمظهر القوة والإرهاب ، والمهم هو الأرباح . . والأرباح الفاحشة ، حتىٰ لو تطلّب ذلك قتل وتدمير كل شيء . . ، وحتىٰ لو تطلّب الأمر عدم الالتفات إلىٰ الشرعية الدولية . . .

وقد صرّح (جورج شولتز) وزير خارجية أمريكا بالقول : (. . . إن أمريكا في حالة حرب فعلية في كل مكان في العالم ، ابتداءً من أفغانستان

وكمبوتشيا حتىٰ أنجولا و نيكارغوا ، إنها تدافع عن نفسها ضد الهجمات المسلحة من جانب حركات التحرر الوطني وقوىٰ المضربين وغيرهم من (الإرهابيين) ، وتكمن الحيلة البسيطة في هذا بالذات : إذا كانت الولايات المتحدة ضحية (للاعتداء المسلح) ، فإن لها الحق في الدفاع عن نفسها بمقتضىٰ القانون الدولي !) .

لكن من الذي منح أمريكا حق وكيل النيابة والقاضي والجلاّد الدولي في آن واحد وبزعم الدفاع الذاتي الوقائي ؟!

ومن الذي منحها حق دمغ كل من يُعاديها بالإرهاب والرجعية ؟!

ومن الذي (شَرْعَنَ) لها أن صوت السلاح يعلو فوق صوت القانون ؟!

ومن الذي جعل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تنفّذ ما بين عام ١٩٦١م وبين ١٩٧٨م نحو (٩٠٠) عملية سرية كبرىٰ ضد رجالات السياسية و الدولة ؟!

ولماذا تُنفق الملايين من الدولارت علىٰ جبال السلاح هنا وهناك ، بينما الأولاد يموتون كل يوم ؟! وماذا استفاد العالم من (حروب النجوم) ؟!

وهل لم يبق في حياة أولئكم الناس رحمة ولا رأفة ولا . . . ؟!

لكنهم استخدموا ـ وما زالوا يستخدمون ـ جيشاً من الخبراء في مجالات الاتصال والإعلام .

إضافة إلىٰ عمليات غسيل مخ أوساط الرأي العام ، حتىٰ التضليل والخداع و الغش والكذب ، المهم أن تُنفّذ خطط تأديب كل من يقف ضد أمريكا ! !

مثال ذلك : في الرابع من آب عام ١٩٦٤م أفاد قائد المدرعة

(ميدوكس) أثناء وجودها في خليج تونكين بأن زوارق الطوربيد الفيتنامية قد هاجمت سفينته ، وألقىٰ الرئيس الأمريكي (جونسون) خطبة غاضبة حانقة بهذا الصدد ، فخوّله أعضاء الكونجرس صلاحية اتخاذ كافة التدابير الضرورية لصدّ أي هجوم مسلّح علىٰ القوات الأمريكية !

وبدأت القوات المسلحة الأمريكية عدوانها علىٰ فيتنام ، وفيما بعد اعترف ربّان (ميدوكس) بأن زوارق الطوربيد قد تراءت له في الخيال ! !

إضافة إلىٰ ذلك ، فإذا تابع الباحث المسلسلات الأمريكية والأفلام السينمائية ، حتىٰ الموجّهة منها للأطفال رأىٰ أمراً عجباً . . .

إنها تدور حول (السوبرمان) الذي يحمل في يديه رشاشاً من طراز كلاشينكوف ويفتح النار علىٰ كل الأعداء . . .

فهل (وعي العسكرة) هو الذي يحلّ المشاكل كلها ؟

وهل إنتاج مزيد من راجمات الصواريخ ، وحاملات الطائرات ، والصعود إلىٰ القمر و . . . ، والتهديد ، والتلويح بسياسة العصا الغليظة و . . . ، هل ذلك هو الذي يجعل الناس تحبّ أمريكا والأمريكيين ؟ !

وهل إذا ساد المنطق الأمريكي العالم ، والذي يتلّخص بقول (نابليون) : إنني أحتلّ ، و علىٰ المحامين أن يجدوا مبرراً لذلك ، فهل يعيش البشر بحالة أمن وطمأنينة ، أم أنه سيكون الانتحار . . والانتحار الجماعي ؟ !

* * *

لكن هل تمارس أمريكا غطرسة القوة ، وسياسة التلويح بالعصا الغليظة ؟

أجل ، وما أكثر الأدلة علىٰ ذلك ، وعلىٰ سبيل المثال لا الحصر :

ما قامت به أمريكا من حصارات علىٰ ليبيا ، ومن قصف مركزّ استهدف مناطق استراتجية فيها ، ثم حظرت أمريكا استيراد النفط الليبي ومنعت تصدير قطع الغيار والمعدات التكنولوجية إلىٰ ليبيا ، ثم قامت حاملة الطائرات الأمريكية (نيميتز) بالتشويش علىٰ وسائل البث الإعلامي داخل ليبيا وعرقلة الاتصالات اللاسلكية المدنية ، وفي عام ١٩٨٦ أقلعت المقاتلات الأمريكية من قاعدتين بريطانيتين ومن حاملات الطائرات الأمريكية في البحر المتوسط (كورال سي ، وأمريكا) لتشن هجوماً مباشراً علىٰ ليبيا ، وقد وصل عدد الطائرات إلىٰ (١٧٠) طائرة ، ما بين اعتراضية للحماية ، وقاذفة ومقاتلة ، وطيارات للتشويش ، وأخرىٰ للوقود ، ووصل حجم القذائف إلىٰ نحو (٢٠٠٠) رطل!!

والسؤال : ما هو الذنب العظيم الذي ارتكبته ليبيا حتىٰ تُقدم أمريكا علىٰ ذلك كله ؟!

مثال آخر ، فيه دلالة واضحة علىٰ المنطق الذي تستخدمه أمريكا مع الآخرين :

. . . لم يكن هدف القصف الجوي علىٰ العراق لمدة (٤٣) يوماً هو تحرير الكويت ، بل القيام بأكبر تدمير ممكن للعراق ، وتوضح الأرقام أن الغارات كانت معظمها علىٰ العراق وليست على الكويت ، ولم يكن قصف العراق يستهدف تدمير أهداف عسكرية ، بل شلّ الصناعات المدنية والاقتصاد والخدمات العامة ، مثل شبكة الكهرباء وشبكة مياه الشرب وشبكة الصرف الصحي وشبكة التليفونات وشبكة الري وشبكة الغاز والكباري علىٰ الأنهار وخزانات البترول. . . الخ ، بالإضافة إلىٰ قتل السكان المدنيين بدون تمييز. . .

إنه إنذار لكل العالم ، أن أيها الناس انتبهوا لما فعلناه في العراق. . .

وكل من تسوّل له نفسه ، أن يتمّرد علىٰ ما نريد فإنه سيلقىٰ مصيراً أشد قسوةً مما حدث للعراق . . .

أجل!

لقد أسقطت قوات التحالف الدولي ، والذي ترأسه أمريكا ، قرابة (١٠٦) آلاف طن من القنابل علىٰ العراق في (٤٣) يوماً فقط ، بينما كان نصيب فيتنام (٦٨) ألف طن في ثماني سنوات ونصف!

أي أنه مقابل (٢٢) طن قنابل يومياً علىٰ فيتنام تلّقىٰ العراق (٢٤٠٠) طن يومياً ، هذا بالإضافة إلىٰ تطور القدرة التدميرية للأسلحة المستخدمة!!!

مثال آخر :

تدخّلت أمريكا في شؤون لبنان ، وذلك في عام ١٩٨٣ ، حيث قامت البارجة الأمريكية (نيوجرسي) بقذف حممها علىٰ منطقة الشوف ، مما أدىٰ إلىٰ سقوط ضحايا و . . .

لكن شاء الله تعالىٰ أن يؤدب أمريكا ويكسر جماح عنجهيتها ، وذلك عندما قام شباب مسلم من لبنان بتفجير مقر (المارنيز) مما أسفر عن مصرع (٢٤١) مقاتلاً أمريكياً . . .

ومثال آخر أيضاً :

في عام ١٩٨٨م قامت البوارج الأمريكية المرابطة في الخليج العربي بإسقاط طائرة ركاب مدنية إيرانية ، مما أدىٰ إلىٰ استشهاد ركابها جميعاً ، والبالغين (٢٠٠) راكب!!

ومثال آخر :

عندما أقدمت إسرائيل علىٰ تدمير المفاعل الذري العراقي ، وذلك في

يوم الأحد ٧ حزيران ١٩٨١م ، تبيّن فيما بعد أن الطائرات التي قامت بالهجوم هي طائرات أمريكية الصناعة! والطائرات التي كانت توفّر الحماية لتلك الطائرات هي أيضاً صناعة أمريكية! والطائرات التي قامت بإمداد الطائرات (F-16) بالوقود أثناء الرحلة هي أيضاً أمريكية! والمعلومات الفنية التي حصلت عليها إسرائيل عن المفاعل قبل تدميره كان مصدرها أمريكا! فهل هناك صورة توضّح عمق ومتانة العلاقات الأمريكية الإسرائيلية أكثر من ذلك ؟[١] .

ومن جهة أخرىٰ :

تأكّد فيما بعد أن الطائرات المعادية أقلعت ـ وعددها (١٤) طائرة ـ من أحد مطارات سيناء المحتلة ، متجهة إلىٰ بغداد ، وبقيت في طريق الذهاب (٩٠) دقيقة ، قطعت خلالها(١٢٠٠) كم من الأراضي الأردنية والسعودية والعراقية .

وقطعت (١٠٠٠) كم في العودة ، وفي الطريق تم إعادة ملء خزانات وقود الطائرات (F-16) في الجو . . .

والأمر المحيّر حقاً هو : في السعودية يوجد طائرات الأواكس : OWACS ذائعة الصيت ، والتي تملك إمكانيات ضخمة لاكتشاف الأهداف وإبلاغها إلىٰ وحدات الدفاع الجوي خلال فترة لا تزيد عن دقيقة واحدة . . . ، والطائرات المعادية بقيت في رحلة الطيران تلك مدة (٣٠) دقيقة فوق الأراضي السعودية . . .

فأين طائرات الأواكس ؟ ولماذا لم تبلّغ القيادة العراقية ـ بل

---

(١) للتوسع يراجع كتاب : الخيار العسكري العربي ، الفريق سعد الدين الشاذلي : ٦٠ـ ٧٠ .

والسعودية ـ بذلك ؟ وإلا ما الفائدة من دفع (٦٠٠٠) مليون دولار ثمن (٥) طائرات من نوع الأواكس ؟[١] .

إذن :

تبيّن الأيام أن أمريكا لا تفهم إلا بلغة القوة ، وأن كل الشعارات التي تحاول أن تخدع بها الآخرين : كالسلام ، والتعايش المشترك ، وحقوق الإنسان ، و . . . نحو ذلك ، ما هي إلا شعارات بالونية جوفاء لا رصيد لها ، وهي ليست إلا من باب التسلية وتلميع الشخصية . . .

لكن الوقائع توضح وبشكل لا يدع شكاً أبداً ، أن سياسة التلويح بالعصا الغليظة وسياسة الهيمنة والتهديد هي الحلّ في يد أمريكا . . .

فهل يعتبر المهرولون تجاه إسرائيل وأمريكا ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق : ٣٧] .

* * *

(١) للتوسّع يراجع كتاب : الإرهاب الصهيوني ، للؤلف : ٨٥ـ٩٢ .